وكان شمس المعالي قابوس بادر اليها وجمع عسكره بها فلما
تلاقيا تناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى
احمر بساط الارض من دماء الابطال ثم انجلت على عسكر الجيل
كشفته اعياهم ضبطها الزوال الاقدام عن المقام فتفرقت جموعهم
في جمر الغياض والآجام وعطف شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونة
بذخائر امواله واستظهر عنها بالاهبة للعربة وسار نحو نيسابور فلما وردها
لحق به فخر الدولة من طريق استوار فالتقيا ما لك واجتمع من فرقتهم
الكشف في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى الامير
الرضي ابي القاسم نوح بن منصور والي خراسان يجاهما في قصد
دولته وتامين الانتعاش بعونه ونصرته وافتكاك ما غصبا
من الولايات بغر دعوته فورد عليهما من الجواب ايضا من

معقود الايجاب ما شرح صدورهما وشدّ بالنجح الفريب
ظهورهما وكتب الى ابى العباس تاش باحلال محلهما واكباد
قدرهما واكرام جوادهما وتقديم الاحتشاد لردّهما الى داديهما
ففعل ما رسم وتلقى الامتثال ما ختم وعطفت اليه اعنّة الخيول
من كلّ وجهٍ حتى استظهر بنجب الرّجال وعزم على الارتحال و
نهض من نيسابور قاصدًا قصد جرجان اذكان مويد الدوله
بها ليترع ولاية الامير شمس المعالى اوّلا من يده ثمّ تتفرغ من
التدبير فيه الى غيره وعنّ له ان يستبرح فابقا على سمت الرّى
وقومس ليقطع الامداد والمواد عنه وتلبس اخبار تلك الديار عليه
فيزيده شغل القلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحداقهم
به من جانبين فنهض على السّمت المذكور وتم بد الله فيما دبّر

ذ تبر وراي ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب

ومن الحزم والاحتياط اقرب فاستردّه من وجهه الى اداء واد

فاجتمعا على التضافر واتفقت اراؤهم على التسابر وسار

ابو العبّاس تاش في تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس

المعالي وفخر الدوله حتى اناخوا بظاهرها وتحصن مويد الدوله

بويه بها واحتجز الخندق قعره ومخترق عوذة وفروج

للبد حصنها وذروب لحفظه الرجال شحنها وساذهم الحرب

حتى غير شهران كيوم واحد في مداومة الكفاح وملازمة السلاح

وضاق الطعام في ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم الذي

يحفظ على الثبات قوتهم وكانوا يزدون من نخالة الشعير المعجونة

بالطين وعهدي بهم يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالري دعفانا

اسباب العراك فيها تشكوى الكلال والهزال وكانت في السوال كافراص
المداد يشكون مقاساة الحال ومكابدة الاهوال وطول النزال
وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على الميسرة
مقابلا لعلي بن كامة صاحب جيش مويد الدوله فاظهر الغناء
واحسن البلاء وحمل عليه حمله زحزحه عن مقامه كليما
وطرحته الى استراباد هزيما ولو اعين بمدد في الحال لفتح
المجال وجعله آخرة القتال ولكن القوم نافسوه فخذلوه كلا جرم
ان كوكبه من كتايب الديلم عطفت على من تشاغل بالذهب
والاعادة من اوباش الخراسانية فطبقوا حبالة الاسر ثم عرضوا
عن آخرهم على السيف وورد بعد ذلك على ابي العباس تاش
ابو سعيد الشيبي في رجال من جنود خوارزم من احداده دها

من اجلادها ودحالتها وقناها وابطالها وقواد الضرام وابناء

الشهامة والسهام فاقتدح الحرب بينهم فلم يضعوا نبالهم الا في

منافس الاستداق ومواضع النغر والاحداق وافشوا القتل والعود

والغادرة في الديلم ثم تحاجزوا يومهم ذلك ولم يزل الحرب تقوم بينهم

على ساقها ظاهرة وغبا وتنتصف البعض فيها من البعض وكان

ابو الفضل الهروي المنجم اشار على مويد الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ

المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم منجحا او مخففا فاسر

ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من ثمن

رمضان سنة احدى وسبعين وثلثماية نادى بنفسه وعساكره

وعساكر اخيه على اختلاف اجناسهم وكان اهل خراسان يظنون

ان حزبهم تلك عارض ينقشع وريب على الرسم ينقطع فلما راوها

ركاناً عماماً وشهداً واعزاماً ولزاماً اقبلوا عليها مضطرين فاذا الامر

اذ الخطب جد والحد حديد والباس شديد وبرز الديلم من وراء

الخنادق الى العراء محرجين من جهد البلاء وضنك البوس واللاواء

فاستعرت وقدة الحرب ودارت رحى الطعن والضرب وتحدث

الناس بان مويد الدوله قد خبب فانقا واضرابه بمال حملة اليهم سرا

واطمعهم فى امثاله حيلة ومكرا وواطاهم على التساهل فى الحرب

لليوم المرقوب والاجل المضروب فلما حمل عسكر الديلم من تعبيتهم

ميمنتهم ولوا اولئك ادبارهم نفورا وثبت حسام الدوله تاش

وفخر الدوله فى القلب يتضاربان بالسيوف والقرانكنبات ويجددون

الحملات المتداركات بصدق النيات فى الثبات الى ان القت

ذكاء يمينها فى كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع فخذ ده

مجدّده فخر الدوله فضل المقام لتكاثر الاقبال من كلّ وجه عليه
وتوجّه الاطماع من كلّ اوب اليه فانقلب اذ ذاك يريد المعسكر
فساخت في منقلبه قوائم الفيل الذي كان حصن القلب في بعض
تلك المخاضات واعجله حزّ الامر عن التوقف لازعاجه واخراجه
فتركه على حاله ونجا براسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال
المعلمة والاسلحة المنضّده والغلمان الحصارية والغلات
المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود نيسابور فدخلها ليلا وكتب
الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرجعة فعاد الجواب بتقوية
الاحوال وتمنية الامال وتهنية الامداد والاموال وخاطب
الصاحب ببغداد وسائر بلاد تلك المملكة وطيّر الصاحب كتبه
في الاطراف بذكر الفتح على ما نطق به رسائله وانشدني البجلي

الشاعر لنفسه في سويد الدوله من قصيدة شعر ما هال غيران

في هيجاء ملحمة مذكورة آل سامان وسامانا فالكتب لن بخارا

امنة فلقد غادرته عند قوم الناس نفطانا وكان البجلي هذا مطبوع

الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة والقطع

الى الامير شمس المعالي بجرجان في آخر ايامه ففرض له في حملة

حاشية الى ان قضى نحبه فمن شعره فيه من قصيدة اولها

قوله شعر لله شمسان تذكير لخيرهما والمؤنة النقصان ملتزم

ازدى تيلك سنا من غير معرفة بها وزين هذا الفضل والكرم

يا ايها الملك الميمون طائره وخير من في الورى يمشي به القدم

لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا لما تهدى الينا الشيب والهرم

ووصف ابو الحسين الجوهري الجرجاني الفيل المقبوض عليه

عليه في الحماء اللذ دب والاجم الاسب بقصيدة اولها شعر

قل للوزير وقد يتدى تستعرض الكرم المعدى اقبلت اسباب

العلى حتى ابت ان تستجد لو مس راحتك السحاب لامطرت

كرما ومجد لم ترض بالخيل التى شدت الى العليا دستد و صرايم

الرای التی كانت على الاعداء حبذا حتى دعوت الى البدى

ولا يلام اذا تعدى متقمصا تيه العلوج وفطنة اعيب معدا

متعسفا طرق المعالى حيث لا تمتاف قصدا فبلا كرضوى

حين يلبس من دقاق الغيم بردا مثل النعامة ملئت اكنافها

برقا ورعدا راس كقلة شاهق كسيت من الحيذاء جلد فتراه

من فرط الدلال يصعر الناس خدا تزهى بخرطوم كمثل الصولجان

يرد ردا متمدد كالافعوان يمده الرمضاء مدا وكم راقصة

ينتزبه الى الندمان وكالصّلب شدّ جنباه الى جذعين شدّا

وكان بوق لحركه لينفخ فيه حتّى سيطوسبادتي لحين لحطمان

الصخرتا واذ نادم روحنان اسندتا الى العودين عقدا عنباه

غابرتان ضيقتا لجمع الضوء عمدا فلكّ كفوهة الخليج يلوك طول

الدّهر حقدا تلقاء عن بعد فتحسبه عماما قد تبدّى متثنّا

كبستان الخورنق مائلا في الدّهر كدّا ردّ فالكلكة غير متمايل الادنا ل

تهدا ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا تخطو على مثال

اعمدة الخباء اذا تصدّى او مثل اميال نضدن من الصخور الصمّ

نضدا منوردا خوض المنيّة حيث لا ينساق وردا متمكنا فكأنّه

متطلّب مالا يودّى متلفّعا بالكبرياء كأنه ملك مفدّى

ادنى الى الشيء البعيد يدا من وهم واهدى اذكى من الانسان

من الانسان حتى لو رأى خلقه لسدا لو انه ذو لهجة وفي كتاب الله

سردا عقته ارض الهند حتى حل من ذهو هرندا فل للوزير عبدت

حتى قدا تاك الفيل عبدا سبحان من جمع المحاسن عنده وبا وبعدا

لو مس اعطاف النجوم جرين في التربيع سعدا ما بال عبدك اذ فق

السماء لا نبتت زهرا وودا يا ايها الملك الذي احدى وعلم

كيف يجدى قد صد عن تكرم الالاء وحاشاك نصدا قال وهرند

نهر جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوى

في ارض جرجان تلوى الحيات كثير الاوبات والعطفات

ومنابع عيونه جبال ديناد واديه ينصب العين منها الى العين

حتى يملاء النهر ويذهب ده الصخر نعم ووصل ابو الحسين

العتبى الى ولاة الاطراف لخراسان في استنهاضهم واستنفارهم

لينجدهم الى مرو ولجتمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيب
من رجالات خراسان على رقو ذلك الخرق ودتق ذلك الفتق
ومحسوسه للعجز واستغارته دون الملك واقبل يستعد
للامير الرضى عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقدام والغوا
واضاف له تزة الكتاب وهي أذناب الكتايب وكانت خلعة
خالعة لروعه قاصمة لظهره قاطعة لعمره خاتمة لامره
وذلك لان ابا الحسين بن سمجور كان يشكو الى فايق مادهاه
من قصده اياه حين عزله عما كان يليه وكاده في نفسه
ودويه ولم ينفك يرصده بالغوايل ويطلبه لوجوه الاوتار
والطوايل الى ان اشار عليه فايق بطايفة من العلماء السمرقنديه
كانوا رؤس اضرابهم في السعة والشغب والتحكم والمطالب لفرط

لفرط القوة والغلب ودس اليهم من اغراهم به بسفايح يحجزها اليهم

حتى تآمروا بينهم على قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلو

الجانب عمن يحمي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين بما دبر من

الامر ولا اشفق على نفسه فاستطار من شرر الشر فشكا

الى الامير الرضي صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال

فبعث اليه بعدة من القواد لمرافقته الى الدار اجارة له مما كان

خشاه وصيانة لروحه بحماه فتسامع طائفة من المشركين

في التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة الركض على اثره ووضعوا

فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وخبطا ودقا

وقصما واشفق من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه واهملوه

فكان مثله كما قيل شعر كليه وجريه جعار وابشري :

بلحم امرء لم يشهد اليوم ناصره وترك كما هو على الشارع صريعا يمج

دما محيا وعندهم انه قتيل وان ليس للحيوة اليه سبيل ونقل

كما هو الى باغ من قريب مصرعه ليراعى ما يحدث من الرأى

فى عده فلما غشيه موج الظلام وهب عليه دخان السحر ان

انة سمعها الباغبان فبادر اليه ووضع يده على منخره فاذا به

رمق قلق ونفس مختنق فسعى الى دارها السلطان

فخبر بثبات حسه واضطرابه على نفسه حتى امر به

فنقل الى القهندز والزم الاطباء للمناوبة عليه طمعا فى

انتعاشه فاستصعب داءه على الدواء وقضى الله على امره

بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الود

والصدر عديم المثل فى سعة الرحل فقيد النظير فى الفضل

في الفضل الغزير لم يُرو في كتب الاولين ان احدا من الوزراء
اتسعت همته كهمة لمشاطرته على مروته ومنازعته فضل
افضاله وفتوته سماحة كالغيث يقذف بالوبل او الريح تعصف
بالرمل وسياسة خفقت عليها اجنحة الليل وغصت بها
مشاعب السبل وانشدني ابو جعفر الحاجبي فيه لنفسه يرثيه
لهفي عليك ابا الحسين عين رمتك بكل عين جرعتني
غصص الجوى واذبتني يوم الحسين ولبعضهم فيه وقد زار
قبره في جماعة من اصدقائه مرّ على قبرك اخوانكا
وكلهم قد هاله شانكا فلم يزيدوك على قولهم عزّ على العلياء
فقدانكا وقد كان حسام الدولة وشمس المعالي وفخر الدولة
بنيسابور على انتظار معونته واستفاضة ما يسفر لهم من عدته

فحدثني ابو نصر العتبي خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور

قال دعاني ابو العباس تاش اخر نهار يوم فلما وصلت اليه وجدت

الثلثة يتناصلون الاراء بينهم في معاودة الحرب واستيناف معالجة

الخطب فخلطوني بانفسهم فيما تداولوه وسالوني ان انهي ذلك

الشيخ صدق انتظارهم لمعونة واستعدادهم للبداء الى امره

واقبل على شمس المعالي من بينهم فقال اكتب الى ذلك الصدر ان

الحروب لم تزل بين الرجال سجالا وانها تستصعب مرة وتصحب

اخرى والحازم من يستفتح بالجد باب الظفر فالنجح يتلف

بين العجز والضجر واضرب له ابيات المتنبي صدره يرى الجبناء

ان العجز حزم وتلك طبيعة الوغد اللئيم واما كنت في امر

مروم فلا تقنع بما دون النجوم فطعم الموت في امر حقير

حقير كطعم للموت في امر حبسهم قال فاستند للك يومئذ بقوله

على فضله وذكائه وورد عليهم بعقب ذلك سعي ابي الحسين العتبي

فاوسعهم وجوماً ونشر عليهم من التدبير ما كان منظوماً وورد

على ابي العباس تاش كتاب السلطان في استعادته الى الباب

لتدارك ما اختل وتلافي ما انخل واعتل فاغتنم البدار ومضى

وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الامور ونظم المنثور وتتبع

الجباة على ابي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير وعممهم

بالنفي والتسيير واستوزر ابو الحسين المزني فتعلل بالتدبير

وتحل في التقديم والتاخير لتهافت الاعمال واستبداد اخرين

عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسن بن سيمجور انكفأ

عن سجستان الى خراسان امرصد اليه استنزل فائق الخوم الفتن

وانتقاض الاعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان ونشوقا

لنفاق سوقه فيما بينها فكتب اليه ابو الحسين سقيحا عليه فعله

وناعيا له عقله وسامه ان يعدل الى قهستان يلباس السلامة

متدرعا وعن ملابسة الاعمال متورعا وان يستلم ابناء الدولة

في حملته وتحت رايته الى ابنه ابي على على ان يعاود سجستان

فيكفي امرها ويلم شعثها ويرءب صدعها ويجعل با دغيس

وكنج رستاق برسمه على ان يراد في تولية وحبائه متى عرف

في الطاعة صدق نيته وغنائه ولما استقر ابو العباس تاش

ببخارا اغتنم ابو على خلو خراسان عنه وعن المتصلين والمناصلين

دونه فراسل فائقا يريده على مخالفته والجهار بمنابذة وترك

الرضى بزعامته فوجده سمح القياد الى المراد طوع الزمام في العناد

في العناد واجتمعا بنيسابور على توكيد العقود واحراز المواثيق.

والعهود وبدأ ابو علي بمصادرة عُمّال حسام الدولة تاش بنيسابور

ومطالبتهم بما كان تحت ايديهم من امواله وارتفاعات اعماله

ثم نهضا الى مرو ستادون الولايات وجبا باد ون الاموال والارتفاعات

حتى اضطر حسام الدولة تاش الى مناهضتهما ومداواة ما استفحل

من شرهما وكفاية ما اهم من امرهما فاستفتح الخزائن

عن ذخاير الاموال ونفايس الاسلحة والاثقال وبرز من بخارا

الى آمل الشط فخيّم على طرف الرمل وتردد السفراء فيما بين

الفريقين على حفظ نظام الالفة واستيفاء جمال الدولة واخماد

جمرات الفتنة. فوقع الاتفاق على ان يكون نيسابور لتاش

وبلخ لفايق وهراة لابي علي وتفرق كلّ منهم الى رياسة عمله

والخوارزمي في ابي علي عند حصوله بهراة نهنئ بالامير

اذ قد علا عن ان يهنا عن حواها وكيف نهنا الدنيا جميعا بناحية

من الدنيا احتواها وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان

قبل وصوله من بخارا توصل الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد

عبد الرحمن الفارسي المتولي كان للامور وكدخدائية لما تبينه

من ميله الى ابي علي وفايق وادهانه في امرهما فلما استقر هو

بمرو صرف عبد الرحمن بعبد الله بن عزير وهو المعروف بتعنت

آل عتبة ومنابذتهم ونصب العداوة لهم والتتبع لهم وخرق

الادم كتابا عليهم وتسديد المعضلات اليهم فبدا الصرف

الى ابي العباس تاش عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابي الحسن

بن سيمجور مضادة لابي الحسين العتبي في تدبيره وتداركا

وتداركا برغمه لما وهي من اصل تقديره وتقريره وامر الكتاب

عن السلطان اليه في تقلد العمل عنه وتعويضه كورتي نسا وابورد

منه والايعاز اليه بالامتداد اليهما والاقتناع بهما وحذف عنه

خطاب الزعامة فاقتصر به على ما كان موسوماً به من الحجابة

فلما وصل الكتاب اليه واحس بامارة الشر ودلالة الختل

والختر علم ان ذلك نحو الحظ عليه والتشفي منه والوضع من

قدره والثلم في جاهه ومحله فاستحضر وجوه القواد واعيان

الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه ودينه في

طاعة سلطانه والمناصحة والاخلاص لدولته والذب

عن حوزته والشكر لما وسعه قديماً وحديثاً من نعمته

واقباله مدة مصاحبتهم اياه عليهم بحسن رعايته ووفق

زعامته وايالته نيابة عنهم في تنجز اوطارهم وتزئين مساعيهم

وآثارهم ومواساة لهم بما اتسعت له يده من خاص ماله وحاضر

ملكه وانه يومه ذلك في نفسه ومهجته مقصود عن باب

سالكه وولي نعمته مردود ولا منع لاحد من جهة عن رائه

واختياره في معاودة نجادا والالحاق باي جانب شاء فليخبر كل

منهم ما احب غير منازع في قصده ولا مدافع عن وجهه

فاستمهلوه ريثما يعلمون من وراءهم من اهل العسكر صورة

الحال ويعرفون ما عندهم من الراي في المقام او الارتحال

واجتمعوا بعد ذلك دفعات متباعدين في الاختيار ومرة

متقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على مرافقته وترك مخالفته

ومفارقته والاذعان لرياسته وموافقته على ما تلقاهم

تلقاهم الزمان به من سلم او حرب وذلول وصعب وسهل

وحزن وسرور وحزن وخوف وامن وكتبوا الى الخاصة الساليين

ردّا الزعامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما لاكرم في تحقيق

مسالتهم واستبقاء لوجوههم بماء طاعتهم فالى ان عسى ان نفع

لهم نجاح اولبستم رهين اولياء الدولة صلاح وكتب اليهم بمينهم الزور

ويريهم الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا

جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطبيعا لهم و

تنفيقا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الحال ازداد والصيرة

في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا بنفسه

ولحوعاله في وجوه تكاليفه ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته

وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس

تاش من المكاتبة فى التعاون الى اخر عمره واتفق بعد معاودة

ابى العباس تاش نجارا ان قضى مويد الدوله نحبه ولقى ربه

وقبل انقضاء الحرب التى كانت بينهما ما دهاه الخبر بوفاة عضد الدوله

اخيه فتماسك عن اظهار المصاب اناة بالخطب الذى كان امامه

حتى يكفيه بحفيظة المرة وتقضيه بعزيمته المستمرة وشاور

اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه ويسد فى الرياسة

مسده فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى فخر الدوله اذ لم

يكن فى ذلك البيت احق بالامارة واتم استقلالا باعباء

السياسة والرياسة سنا وكفاية منه فطير البريد اليه

فى البدار الى ما اورثه الله من فضيلة الملك وذخيرة الملك

عفوا لا منة لاحد عليه به ولا حق لانسان لحتم لسانه

لسانه بشكره واستخلفوا أخاه أبا العباس خسره فيروز بن

ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتأود الى أن يلحق بهم

فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه تحرير ما ينشئه برأيه ويمليه

وبادر فخر الدولة من نيسابور الى جرجان نظاير البرق بين جناحي

الأفق فاستقبله العسكر خاضعين طايعين وعلى صدق الموالاة

والممالاة متتابعين وتبوأ مقعده من سرير الملك وادنا

ما أوصى به له أبوه وساير ما كان يدّخره أخوه كذلك يؤتي الله

الملك لمن يشاء وتنزع الملك ممن تشاء وهو الفعال لما يريد

ولقد أحسن أبو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي

فيها مويد الدولة ويعزي ويهنئ فخر الدولة شعر دنت

أخا لو أخير المجد في أخ ∴ من الناس طرًّا ما عداه ولا استثني

طفيلة قد جاوزت قبل ان تدعى طبت عشقا وهي معشوقة

الورى فقد اصبحت قيسا وعهدي بها ليلى ولما رأت خطابها

فوقهم ولم ترض الا زوجها الاول الاولى ولم تنسيا هل في

الكفي ولم تقل ورضيت اذا ما لم يكن ايل معري على انها كانت

حفنك ندللا فخليتها حتى انت تطلب الرجعى وانشدت

لابي الفرج بن مسيرة ابياتا من قصيدة يرثي بها عضد الدولة

ولو قبل الفداء لكان يفدى وان جل المصاب عن التفادي

ولكن المنون لها عيون تكد لحاظها في الانتقاد فقل للدهر

انت اصبت فالبس بزعمك دوننا ثوب الحداد اذا قدمت

خاتمة الرزايا فقد عرضت سوقك للكساد وكتب فخر الدولة

الى العباس تاش يذكر ما اصاره الله اليه واعلقه بيديه

بيديه وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته ومصروف
الى اقسام ارادته وانه لم يزح لاستجابة ايامه النافرة واعتاب
دولة العاتبة المتغايرة ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على
مصالح احواله ومرافدته على مناهج اماله شكراً لما كان سبقه من
مقامه قبله وقدمه من جهده في ايثار الحيزبة واستبداد النحلة
فاجابه مهنيا بما اتاحه الله له من كريم صنعه وزفه اليه من
يدي ملكه وشاكرا له ما اوجبه ورآه شاكيا اليه ما رهقه ودهاه
فكتب اليه بانه سهيمه فيما اليه وقسيمه على ما لحوه وان امره
ممتثل في كل ما يرومه وينتجبه فليبين امره على ما يلتفت عليه
اقتراحه منتظرا لما تقتضيه شركة المفاوضة من السمح بالملك
والمال والتبرع بالرحال على اعقاب الرحال وكان قد انتهض

ابا السعيد الشيبى وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة

رسولا فصرفه فى العاجل بنقد من المال وزهاء الف فارس من

سرعان العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه ابو محمد بن عبد الله

بن عبد الرزاق مواليا لابى العباس تاش على ابى الحسن بن سيمجور

فاجتمعا على التعاضد واتفقا على التكانف والترافد واغذ

تاش الى نيسابور فسبقه اليها ابو الحسن واتخذ المقيمين بها

انتظار الوصوله فى سواد جيوله ولحق بهم فصارت الايدى

واحدة والقلوب على الاخلاص متعاقدة وقصد باب نيسابور

من جانبها الغربى فخيم بظاهره وناوش ابا الحسن الحرب اياما

عدة وهو متحصن بالبلد ودروبه ومتحجر بضيق مداخله وسدوده

ولحق بابى العباس تاش زهاء الفى رجل من خلص الديلم

خلص الديلم ونخب الاتراك بقودهم ابو العباس فيروزان بن
الحسين فى كتاب الفواد ممن يعدمون على الزوب ويدخلون ولوخرق
الابر فلما احس ابو الحسن بن سيمجور باناخته على قوتهم على
حرب للضيق واعجازهم باطراف الرانات والمزارق فاتخذ
الليل جملا وترك البلد همـلا وسار يريد قهستان ساترا عورة
الانهزام بلباس الظلام وسمع عسكر ابى العباس ناش باخفاهم
فشدوا على اثارهم واثقالهم واصابوا منهم غنايم موفورة وانفالا
غير محصورة ودخل ابو العباس ناش نيسابور وجاوزها
الى العسكر بظاهرها ما يلى الجانب الشرقى حميد الظفر رضى الاثر
وانشدنى ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى لنفسه فى تلك
الواقعة شعر قل للذى انا فى هواه خاش :. صار الفواد بصدعه

الحماس: صدع يرى عند الرماح كانه قلب ابن سمجود احش

بباش: وله ايضا في ذلك شعر ان الشتاء مضى بقبح فاش

واتى الربيع لنا بحسن رياش ومضى ابن سمجود بقبح فعاله وانتاش

ابناء الكرام بباش ولزم تاش مناخه ذلك يواصل الكتب الى بخارا

في الاستمالة والاستقالة والاستعفاف والضمان لايناف الطاعة

وعرض النفس والملك الشان الضراعة فلجت بابن عزير صلابته

في نعنت آل عتبة دون مغالطته ومعاداته ومعاندته وطفق

ينفق على الامير الرضى ووالدته التي كانت كافلة بالملك ان تاش

معتصم بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة فانه متى ارخي

من عنانه مما يستدعيه وجب التعري عنها والتكبير عليها حتى

ظننا ان الامر كما زعم فوكل التدبير اليه وجعل رباط الخير والشر

والشتر بيديه وقد كنت لي اروى تصديق لي في تلك الايام ببيتين

لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما شيئان لو بكت الدماء

عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب لم تبلغا العشار من حقيهما شرخ

الشباب وفرقة الاحباب فقال ان لا اليق لحكم الوقت والحال بيتان

في وزنهما وصناعتهما وهما للحسين بن علي المروزي شيئان

يعجز ذو الرياسة عنهما راي النساء وامرة الصبيان اما النساء

فميلهن الى الهوى واخو الصبي يجري بغير عنان فانصف لعمري

فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان ويتحمل بصحبته الامتحان

والى الله ان يكون ظئر في شفقة الام وخال بمنزلة العم وعسيف

لنايبه الصاحب ووزير بمحل الملك الغالب المستبد برائه الصايب

وفكره الثاقب واهمل ابو العباس تاش ما اهمته من امر ابي الحسن

بن سيمجور وقصده بمداراة كولاة الدولة بنجارا واستمالة لهم واستيفاء

لهم جانب فايق حتى تزعزعت صفوفهم واضطربت جموعهم فنادوا

الامان من وقع السيوف خلاء من الحنبه صهوات الخيول فجمعوا في

بيت الاسارة على حال الذل والصغار ثم حملوا الى بخارا على الجمال في الجوالق

آبه ونكالا وتشفيا ممن ساقهم الى خراسان ارسالا فاستقبلهم

المجانيق بالدفوف والمغازل بدلا عن السيوف والعوامل وامرتهم

الى مجالس الفهندز الى ان اقسمتهم الايام بين حمات ونجاة ذكر انتقال

ابي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور

على قيادة الجيوش والحدر ابو العباس تاش الى جرجان ففصل عنها

فخر الدولة متوجها نحو الري واخلاها له ولاهل عسكره وترك

دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة والخزائن العامرة والاوهب الوافرة

الوافرة حتى المطابخ لما فيها من الآلات الصفرية والاوانى الذهبية

والفضية والقلعية وتقدم بان يسلم اليه خزانة كان قد اعدها

للحمل اليه بل الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار والفى درهم

وخمس مائة تخت من الوان الثياب الى غيرها من عتاق الافراس

وجياد المراكب والدواب واعداد الاسلحة والوقايات من تجافيف

ومغافر ودروع وجواشن وترسة وذوابات اكثرها مغشى لظهور دا لمنصب

ومحلى بالفضة والذهب وسوغ له دخل جرجان ودهستان والسكون

واستراباد الا قدرا كان مصروفا الى عمارة القلاع وارزاق مستحفظها

من الخواص فامر ابو العباس تاش بتفرقة تلك المبار والاموال فيمن

صحبه من القواد وطبقات الاجناد حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم

وواصلهم الاقامات والاطماع حتى ارتاشت حالهم واخصبت

رحالهم فصار والجرجان احسن منهم ما كانوا بخراسان حالا وارغد

عيشة وانعم بالا وجعل فخر الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان

زيادة في نايل حاله واستبقا لنظم جنوده ورجاله فعل من لا

ينفس على جنبه بنفايس ما يحويه ولا يضن على صديقه بجليل

ملكه ودقيقه وقد كان الصاحب يستشرف ما يوحيه له من الاحسان

والمواساة ومواصلة الصلات والكرامات ومن قبل ما قد نصح له في

استعراض خراسان برجالة مخالفة لسلفه في اختياره من مسالمتها

واغتنام السلامة منها فقال له ذات يوم ان حقوق ابى العباس تاش

علي حقوق لو نزلت معها عن جميع ما افاء الله على من ثمرات هذا الملك

حتى احل له عروة هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات المكافاة

والبر بمراتب الواجب واشار الى واحدة تكفيه امارة على ما اوجبه له

اوجبه له ايام مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته

وذبا عنه في حال غربته وهي ان اخويه عضد الدوله ومويدها

ارسلا اليه سيترة انه على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة

للسلطان اولا وله ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي

الثياب وفره العتاق واغليا في الاستيام والتطبيع حتى لم يبق

للرد مجال ولا للسان العذر مقال واتاني خبر الرسالة فاستطلمت

ضوء النهار واستحسنت جانب الفرار وقمت من الحيوة على

شفا جرف هار اذ لم يكن في الحرب مطمع ولا في قوس الرجا منزع

وبت بليلة القد ادى السركان قد الى ان اصبحت وقواى متخاذله

واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء والداهية الدهياء

فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن واعيا وادبا فلم ادر اداع ام ناع

وآدب هوام نادب طالع ضيافة ام طارق آفة وخمنت فى القرى

كناية عن المحدود وتورية دون لقدر المقدور فركبت اليه وسيره

عنانى احصف مرة من نائي عليه الى ان حصلت فى مجلسه فصادفت

من حسن القيام والالتزام وفرط الاكرام والاعظام وفضل البر

والايناس ونصرة الرجاء على الياس ما لم اكن عهدته فيما مضى من

مجالسه ومآنسه وما زال يرفعني بيشره ويسحرني بلطفه وبره

الى ان نابت نفسي اليّ وانحلّت عقدة الخوف عليّ ونظائر الهم

عنى شعاعا وذهب سوء الظن جفاء ثم ناولني الرقاع الواردة

عليه فسبرتها عن انياب الاراقم واقداح العلاقم وحمات العقارب

على الرسم المعتاد من كيد الاقارب ثم اقبل عليّ وقال كنت على ان

اكتم الامير صورة ما ورد صيانة لقلبه على نوازع الظنون والاوهام

والاوهام لكنّي فكّرت في حاكم الحال التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه
طلع ما كتب والافضاء اليه بحقيقة ما طلب املك لسكونه واوقع
نظائره وانفى لحلاج الشك عن خاطره واقسم بجميع ما يغلّظ به
ايمان البيعة انّه لا يعدل خراج العراق والخراسان بأسره على نفاح
قدره لشعرة من بدنه ولا يؤثر من يزنه وان جميع ما املكه
من صامت وناطق وقايم وقاعد حتّى فض هذا الخاتم وزدّ
هذا القرطق وفاته لمحبته ووقف على مصلحته ومعدّ
لدرء الحوادث عن ساحته ومبتذل في الانتقام له ممن نافسه
في ملكه ونازعه حقّ ارثه حتى ياذن الله له في رده الى سبيله
قرير العين منشرح الصدر صاعد النجم ماضي الحكم على الخصم
الستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة طوعًا وطبعًا لا عن رغبة

فى رعيته ولا يميل الى نيل ولا ينطلع الى وجه طمع ان يتغافل

عن معونة وارفاده ويتجاهل دون ما ينجذب اليه تمام مراده

لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة لا اعرف الناس نسبا فى هذا الحق

العظيم وقد استسهلت طريق المكافاة واصبت عون الله على

حسن المجازات على ان الفضل له لسبقه الى البر وان جهدت

فى المقابلة وشددت الى الغاية فى المساحلة فتعجب الحاضرون

من هذا الكلام والكرم الذى عز سماع مثله فى سالف الايام

واحتشد الصاحب من بعد لمصالح ابى العباس تاش مناصحة

لصاحبه وكفالة عنه بما يقضى الحق عليه ويفيد شرف الوفاء

وبقى ابو العباس تاش بجرجان ثلث سنين بالى الحسن القلب

جافى الجفن دون الغزاة شوقا الى خدمة سلطانه وحرصا

وحرصا على عرفان حق اصطناعه واحسانه واستنفافا من تاويل حاده

في انتباذه عن خراسان انكاده حق الولاء ونزعه من رقبته طوق

الطاعة والوفاء وجعل همه معاودة لخار لا استيناف الخدمة

والسلامة من المذمة وارسل ابا سعيد الشيبي الى فخر الدوله

في الاستعانة على معاودة خراسان فجهز اليه ابا سعيد اسقاء

بن كردويه وعدة من اعيان القواد في زهاء الفي رجل من خلص

الديلم وكتب الى نصر بن الحسن بن فيروزان وهو نقوس نصله

حباحم والزعامة عليهم في ايرادهم واصدادهم والصدر

في ذلك كله عن راى حسام الدولة ومثاله والتصرف على تصاريف

في حالتي حله وترحاله ونادى سلمه وقتاله وحمل في صحبته

من المال اقامات اهل عسكره صنعف ما كان خلفه عليه عند وصوله

من جرجان فسار ابو سعيد الى قومس فانتدب بنصر لقراه وقوى

الفؤاد فى صحبته كما قوى تميم ضيفها وجادها ابن الحضرمي جدوا لبغل

بالبغل وذلك انه امر به في صحن داره فاخذته السيوف يمنه ويسره

حتى برد وعمد الى اخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم عليهم وسد

منافس السرب دونهم حتى اختنقوا بين خر المجلس وضيق المتنفس

وانات تلك الاموال المحمولة والدواب المقوده واضيا بسمته

الغدر قاضيا الى نفسه بالخزى مدا الدهر وانقلب الباقون

نحو الرى لا يلوى واحد منهم على اخر الى ان وردوها فقرا والصورة

نقوا والصحيفة المنشورة وورد من ذلك على فخر الدوله ما اطار

واقعة وهاج وادعه على حسام الدوله تاش ما اقلقه والحمه

واحمده واضعف عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدوله

فخر الدولة بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش اليه وليستحذره الى

الى استراباذ ليصير المقصود محصورا بين العسكرين ومضغوطا

من كلا الجانبين الى ان ياذن الله فيه بالبوار والانتباذ الى غيرها

من الديار واحدر ابو العباس تاش الى استراباذ وخيم بهزاردجان

فاخذ نصرها قدم وحدت وسامره ماطت ورای الجبن قد نعرفاه

والسيوف تطلب وجهه وقفاه فلاذ بالاستيلام وفزع الى الضراعة

والاسترحام وطفق يكتب فى الاعتذار الى الجانبين بانه كالعارك

حياء فما ارتكبه وحجلا من عوار ما اكتسبه وتحمل منطاعة حسام

الدولة فى الاستصفاح واستقالة ما خط فيه بسوء الاختيار

حتى كتب فى بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول انابته

رعاية لحق سببه وقرابته وعاد ابو العباس تاش الى جرجان على ان

لسبتانف تدبير خراسان وكان فخر الدوله قد استوحش من ابن اخيه

بهاء الدولة لاحوال اخل فيها بحقه ورخص نفعها في الفروض

من اجلال قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه مزاحما له

في اعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في جنود الاكراد واولى

البسالة والجداد وسار حتى غلب على كورها مدلا بالقوة السابغة

والنجدة الوافرة وانهض ابو العباس فيروزان بن الحسين نحو البصرة

لاستضافتها واستضافتها الى اخواتها فما غير يوم سوى استحاش

المقيمون بها من عسكر بهاء الدولة اهل البصرة عليه فحمد منهم

خلق عظيم الى للسالك بينه وبينهم فبثقوا سكور الاهوار ليها

فهي عميت الطرق واعوز المجال والمخترق وبقي هو ومن معه

في مخاصات ووحول سدت وجوه الاختيار وطمست دونهم

٥٦

دونهم معالهم الاقبال والادبار فلمّا اخذتهم الصّا اصحاب ابى العباس
فيروزان وذلوا فيهم شوكة وفوزا وولوا ادبارهم على اعقابهم
نفورا وكان فيروزان قريبا منهم فلمّا راى كشفة جاء مانعا وثبت
بنفسه مدافعا فاعياه سدّ الختل وعقد ما انحلّ وردّ من اجل
فاستمرت الهزيمة بهم الى فخر الدوله وهو بسوق الاهواز وشكوا
اليه ضيق الحال، واجمعوا على رميهم للمطالبة بالمال فغاظه ما ظهر
فى الاول من عجزهم وخورهم وما انت فى الثانى من سوء فعالهم
واثرهم وانكفاء بهم راجعا الى همدان على ظاهر بدنة ووقع التراضى
عليها ومنها الى الري وذلك فى شهور سنه سبع وسبعين وثلثمائة
وحدث وباء بارض جرجان خارج عن الحد فى هذه السنة
فهلك من اصحاب حسام الدولة ابى العباس تاش ووجوه

قواده واعيان رجاله والمذكورين من كتابه وعماله وساير

حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بآخره علة صنعته

وختمتهم به فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان اصحابه اوعزوا

قلوب اهل جرجان برسوم نسيمة ابتدعوها وسعاملات قبيحة

اخترعوها واعمال عنيفة اوقعوها فلما فشا خبر وفاته صاروا يد

واحدة على اصحابه فكبسوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل

مدر وحجر وجعلوا القتلى حفلى فانتظم الصغير والكبير والشريف

والمشروف في سلك القتل والتنكيل والابادة والتمثيل وشغل

وجوه اهل عسكره انهاء المصيبة عن الفراغ بنفعهم ودفعهم

واخماد جمرتهم واستكفاف معرتهم واقتضيم صورة الحال البروز

الى خباحي البلد لضبط الامر وضم النشر والقاء التدبير في احياء

فى اختيار من يصلح للتامير فتجمعوا عليه واتفقت كلمتهم

على ابي احمد بن اخت له ففذ موه وطالبوه بمال البيعة فاطلق لهم

ما وجد فى خزانة الماضى مضافا الى ما امكن تحمله واحتياله

عشر بيتة واحدة حتى هدات فورتهم وسكنت سورتهم وتوالى

النفير من البلد بما اهله ايديهم الى نساء الخراسانية نعاو كباد ا

فحركتهم الحمية للانتقام من اولئك الرعاع والاغنام وركبوا على

سمت بكرابا دلمحاربتهم ونادا اولئك الاشقياء اليهم متهافتين فى البلاد

تهافت الفراش فى النار فلم يلبثوا ان حمل اهل العسكر حملة كشفتهم

عن رؤس بلا علاصم وايد بلا معاصم ونفوس بلا عواصم وفرشوا

ارض ذلك الفضا جثث القتلى متشحطين فى الدماء وضربت

الدور والجوانيب بالنفاطات وبسطت عليهم الايدى بالغارات

فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية وادعة وعقوبة

وازعة قامعة وعندها ارسل مشايخ جرجان وصلحاءها

يطلبون الامان وناشدون الله والايمان فكفوا عن القتال واكتفوا

الى الرحال فسكن نابض تلك الفتنة ووقع طائر الهيج والمؤنة

واختلفت العسكر فى الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة

الى خراسان واستحب الديلمية الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص

لخدمته وكتب الصاحب اليهم اجمعين بالتوقف ريثما يلحق

بهم الاستاذ ابو على بطلق اموالهم والحقوق فى الولايات وزيادات الاقطاعات

آمالهم فحفزهم حب خراسان عن التوقف واعلمهم طول العهد بالاتصال

بالاوطان التثبت فسادوا على سمت الروغد معاودين نيسابور ولاذوا

بابي على بن سيمجور وهو اذ ذاك صاحب الجيش مكان ابيه واقام

واقام الباقون من الدادية الى ان وردها الاستاذ ابو علي فاستعرضهم
واثبت اساميهم وطلق اموالهم وسيرهم الى الري فامر فخر الدولة
بنقلهم الى الداد على الرسم في امثالهم بمزيد الاكرام والابتاد دعاية منه
لحق ابي العباس تاش من جانب واستظهارا بهم من آخر وقد كانت
جرجان تموج بالغاغة وذوي العيث والخرابه ممن قتلوا اهل خراسان
ومثلوا بهم نوضع الاستاذ ابو علي الرصد لهم وبث العيون عليهم
وقتل ممن حمل منهم يوما واحدا جديدة واحدة زيادة على ثلثة
الاف رجل صلبا وصبرا وعيلة ومكرا فمتت بذلك سبلسته
واستفاضت هيبته واستقامت اموره وصفت جرجان في ايامه
ممن يعوق في فساد والحكم بغير استقامة وسداد ذكر ابي الحسن سيمجور
في قيادة الجيوش الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابي علي

واستقامت للولاية وقراره نيسابور والجداوابو العباس تاش الى

جرجان امور خراسان وانصرف عسكر ابى الفوارس الى كرمان وعاد

فائق الى بلخ واستقر ابو على بهراة قراره وكان ابن عزيز ينبجه على

قصد جرجان وتوثيبه على التقاعد عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته

فى استشعار الحلم واستحباب السلامة والسلم اشفاقا من عثرة

قدم يفضى الى ندم كالتى عرضت لابى العباس تاش بجرجان من

الكشفة التى حلت على الدولة من الوصمة ما سار فى البلاد خبره

الى ان قيم ابو على محمد بن عيسى الدامغانى للوزارة وذلك فى جمادى

الآخرة من سنة سبع سبعين وثلثمائة وبقى ابن عزير الى خوارزم

فجهد ابو على فى تسديد الاعمال وحفظها على الاعتدال فاعياه مااداه

لا فساد الولايات وتراجع الارتفاعات واستشراء الحشم وضراوة

وضراوة الاتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب

خلع اللجام المراقبة وآمنًا من مُرّ السياسة وصدق المواخذة ثم

فصرف بابي نصر احمد بن محمد بن ابي زيد والسهم الذي يصيب الحز

في اقواله ويطبق المفصل في افعاله وبيد الكفاة بغنائه ومضائه

وصواب تدابيره وارائه ثم بداهم في امر ابي علي فرده نائبًا من صدر

ديوانه الى مكانه واتفقت لابي الحسن بن سيمجور بين هذه الاحوال

نهضة الى حرمك بعض متنزهاته بواحدة من حظاياه فخانته

نفسه خلال الرفث اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتا واخفي

خبر وفاته الى ان رد الى داره واستعد لاظهاره وورث ابو علي

رياسة بيته واخوانه وجيشه وسد الثلمة الحادثة بابيه برفق

سياسة وحسن رعايته وحفظ ايالته وولايته وحسنت

طاعة ابي القاسم اخيه وساير اخوته له وعمّ رضاهم به وبلغ اباعلى

ان هراة سميت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما

استجاده من الخطبه على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفايق

ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي ورتّب كل واحد منهما اصحابه

بناحية عمله وحملت الحمدونات من بخارا على الرسم لولاة الجيوش

وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ

الرسول منتصف الطريق عدل الى فايق بما اصحبه فعلم ابو علي

انه مكور مكوره وعند احقوه وانه المقصود بالسوء والمراد بالمحذور

فلم اعلم ان فايقا شخص من هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم

المرسل والشهاب المرصد انقض عليه فيما بين هراة وبوشنج

فغل من شحة الحد خذنا وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وعلم انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة

وعرف جبنه وخوره لم ينفع له ولا اهل بيته راية ولم يعرف

لانتقاض الامور عليهم والسيئات الحد ورائهم من كل وجه غاية

فصدق قتاله واخذ الفرط الجد والتشمير ودق عسكره ذو المنصب

استاه المسامير فولوا به منهزمين الى مرو الروذ واردفهم ابو علي

بعدة من قواده المشتريه به في مهربه فواقعوه بقنطرة مرو الروذ مستعدا

للمدافعة ومحتشدا للممانعة ففارقهم حتى استاق عدة منهم

وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى مرو خاطبا عمل ابيه ومدلا لسابق

حرياته ومساعيه ومتكثرا باخوته وذويه فحقق الرضى سوله

وخرج اليه بما استدعاه رسوله وقرر قيادة الجيوش عليه

وناط مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان

ولقبه بعماد الدولة فانكفاء الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب

الاعمال ورتب الاحوال والرجال واخذ امره يزداد كل يوم نوراً وبهاءً

ويتضاعف قوة واستعداء الى ان تلقب بامير الامراء مؤيد من السماء

وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة اولها شعر ان الاولى خلف

الخدود هم في الضمائر والصدور وقع الغبار عليهم فغدا نبيه على العبير

واعرتهم نظري حماد والمعاد على البعير فغدوت في حال الاسير

ودحت في حال الحسير وكذاك من عشق النجوم ودام صيداً

للبدور ماسالني ماني البراقع والهوادج والستور فيها الرضاع

من المنية والفطام من السرور وسالت من زوج المنابر

حين لخطيب والسرير فهو الامير بن الامير بن الامير بن الامير

المشتري المدح القليل بماله الجم الكثير من سيفه كسر الجبير

كسر الجبين وسببه جبر الكسير والناظم المعنى الطويل بلفظه

النثر القصير يرمى اعاديه بسهم من سعادته طرير حتى لو افترشوا

الحرير لشاكهم مس الحرير ويوتت الهم الذكور وتبلكم البيض الذكور

وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور ورماحه حتو

العدى وعداته حشو القبور استغفر الرحمن بل حشو الخوامع والسود

ولصيوم صارمه فيفطر بالجماجم والنحور واذا رماه سائد رب البويهية

والبعير البصرية لفنائه رب الخورنق والسدير امحمد بن محمد هذا

النماء من الجود لو كانت الدنيا ندور على الحقايق فى كلا اسود ما صيغ

تاج محمد الامن القمر المنير وانا ماه الله البديع ابو الفضل الهمدانى

وهو لمرونميتدحه بالقصيدة التى اولها شعر على ان لا ادع العيس

والقنبا والبس البيد والظلماء والياليا واترك الخود مغسولا

مقبلها واهجر الكاس تغد و شربها طربا حسبي القد مجلسا

واليوم مطربة والسير يسكرني من مسه تعبا وطفلة كقضيب البان

منعطفا اذا مشت وهلال الشهر منتقبا نظل تنثر من اجفانها

حببا و ولي وتنظم من اسنانها حببا قالت وقد علقت

بلى تودعني والوجد تخنقها بالدمع منسكبا لا در در المعالي لا تزال

لها برق تشوقك لا هونا و لا كثبا يا مشرعا للسنى عذبا موارده

ببناه مبتسم الارجاء اذ نضبا طلعت لي قمرا سعدا منازله حتى

اذا قلت تجلو اظلمتي غربا كنت الشبيبة التي ما رجت درجت

وكنت كالورد اذكى ما اتى ذهبا استودع الله عسا سحي دفعا حتى

يووب و قلبا يرتمي لهبا وظاعنا اخذت منه النوى وطر من

قبل تقضى الهوى من حكمه اربا ما عضى عليك جفون الصبر ان لنا

لنا اليك أوته مشتاق ومنقلبا الى المقام بدار الذل ل كرم
وهمة تصل النحو نذ والحببا وعزمه لا تزال الدهر ضاربه
دون الامير وفوق المشتري طنبا ياسيد الامراء فخرفما
ملك الا تمناك مولا واشتهاك ابا اذا دعتك المعالي عرفها
منها لم ترض كسرى ولا من فوقه ربا ابن الذين اعز المال
من سلك يرى الذخيرة ما اعطى وما ذهبا ما الليث والسيل
لطما والبحر ملتطما والليل مقربا امضى شيئا منك ادهى منك
صاعقة احدى يمينا وادنى منك مطلبا وكاد تحكيك
صوب الغيث لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا والدهر لو لم يخن
والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا يا من نراه
ملوك الارض فوقهم كما يرون على ابراجها الشهبا لا زلت بين

نخبر القول صدقه ولا نهابن في امثالها العزائم فما السموئل عهدا
والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى علنا من الاصبر
لعشا اذا اقتسموا مآثر الجد فيما اسلفوا نهيا ولا ابن حجر ولا
ذبيان لعنترى والمازنى ولا القيسى منتد با هذا الكتبة
وذا الرهبة وذا الرغبة وذا اذا طربا نعم واستولى على بلاد خراسان
وارتفاعاتها محيلت له عن آخرها وكتب الرضى اليه استنزله
عن لا طماع حشمه وعوارض مؤنة فاعتل عليه باستغراق
اعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة
يمحها اليه لتتمة الطاعم فى السنة وهو فى ذلك لخليط طاعة
لخفاء ولستر حسوا فى ادنغاء ونصب اباعلى بالسفى باستجابة
الديوان وبسط يده فى المصادرة والاستخراج حتى كيس خراسان

خراسان فلم يبرح بها دنًا لا دمي خلفه والصوق بظهره بطنه ثم طالبه

بما دُفع عليه وامر بدق يديه على رجليه الى ان اعفى ببعض المال

ومات باخرة على شرحال وصار كاتب الملقب بشهاب الدولة

وظهير الدعوة هارون بن ايلك بن بغراخان وهو ببلاد التُرك

سيرًا على ان ينشا طرخراسان وما وراء النهر حتى ملك على الرضى

بخارا فكان مثله كما قيل شعر بمحمد سلوا سيوف محمد ۞ دصحوا بها

هاماتِ آل محمد وهو في ذلك كلّه يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة

استعمالا يزعموا للتقيّة نحمًا الى آل رعيّه وقد كان طائفة من

دهاقين ماوراء النهر قوم قد املّتهم ايام تلك الدولة ففرهت

نفوسهم الى الاستبداد والاحماض به عن حلة الالف والاعتياد

وتواصلوا ابغراخان بكتبهم في تورّد ذلك الحريم شاخذين عزمه

في المصاد والتصميم فصاد سيطرف تلك الحدود شيئا فشيئا كالبازي
لجل يضاح اجفانه على التدريج تانيسا له من الوحشة وتسكينا
من الروعة وتضرية على القنص الى ان وده استجاب بانهض
من لجاج آل الحاجب في طلبه ووده على عقبه فالتقيا
على حرب اشابت الذوائب واثارت الكواكب ثم انجلت
عن اسراع الحاجب في الكبار من القواد والكثير من الافراد و
استحكم بذلك طمعه في تورد سائر البلاد ذكر فائق وما انتهى
اليه امره بعد الوقعة المذكورة واقام فائق بناحية مرو الروذ
على دهاوت وجبر الكسر واسوا فيما في عسكره من كلوم
الحروب فلما التحم امره وانضم نشره وسار يريد بخارا
عن غير استيماد واستطلاع راي فاوتاب الرضي به فلما قاربها

قاد بها بوزا الى فضاء السهلة ببابه ودماه بآلخ وبكتوزون

الحاجبين وساير مواليه وموالي ابيه وذلك يوم الاحد حلول

من شهر ربيع الاخر سنه ثمانين وثلثمائة فلما رهقه الكفاح

وعضه السلاح اجفل اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه

بين القتل والتنكيل والاسر والتذليل والى النشط منهزمة

فوجد الصفن معيته فركب الخطر واحتال حتى عبر وساد

الى بلخ على ان ينياش سنها وبرتاش واقام بها اياما ثم عبر الى الترمذ

واصل الغراخان بكتبه يبعثه على الاخداد وحثه على السداد

وخوطب من بخارا والى الجوزجان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغوني

ليقصده فجمع بوشا عظيما وساق من ارض الجوزجان يوما

احد علمائه وكان يعرف بارسلان في زهاء

خمس مائة من الترك العرب فانقضوا عليهم انقضاض الصقور

على بغاث الطيور فمن فوقهم نوهم مددا وجعلوهم طرائق قددا

وفرشوا الفضاء بجثث القتلى وغنموا مالا لا تعد ولا تحصى وعادوا

الى بلخ ظاهرين ظافرين وقد كان طاهر بن الفضل ملك الصغانيان

على ابي المظفر محمد بن احمد وهو احد خراسان جلالة قدر ونباهة

ذكر ومتانة راي وحجر ورصانة نظم ونثر فانقطع ابو المظفر

الى جانب فائق صارخا فزعا باحسن اصراخة وامده من بوه

وراءه فاغتنم طاهر بن الفضل حقه اصحاب فائق ببلخ

فلفت لفته اليها طامعا في الاستيلاء عليهما فوحف المقيمون

بها للمدافعة ونهد والمناجزته وتناوشوا القتال وصدقوا

المصاع والصيال ونفقت بعض العرب سهام طاهر بن الفضل

الفضل فقصده فطعنه فی منکبه أدرته عن مرکبه

وبادر الیه فاحتز عن مرکبه وتادر الصباح بقتله فولی اصحابه علی

الادبار هاربین بین سمع الارض وبصرها وهائمین اثناء مجرها ومدرها

ولما جری فی امر ایلک الحاجب ما جری ونقل الی بلاد الترک فی ذمة الاسر

انتقضت مرائر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها

وبناها واشفق الامیر الرضی واركان دولته من ان ینقاقم الامر

ویتراکم الشر ویعضل حادث الداء وینصب باقی الماء مخوطب

فایق علی وجه الاستمالة وقوبل عثرته بالاقالة واستنهض الی

بخارا للاستظهار به علی سد الخلل وتعدیل المیل وتسرع عنها

بعد حسن القبول والاقبال وازاحة العلة بالاموال الی سمرقند

فلم یرعه الا خبر بغراخان وهو الملقب بشهاب الدولة وظهیر الدعوة

وقد استعار اليه قوادم الطير وكضا لم ينل فيه حماما ولا عضا فولى

فاين من بين يديه هاربا ولم يلو على تعرف الحال يقينا وحصل من كان

معه من اصحاب السلطان عرضة للسيوف ودريئة لانياب

الحتوف وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطاة

منه لبغراخان على آل سامان فعل من لا وفاء يردعه ولا حياء

يبرعه ولا نعمة تحفه ولا حرمة تكفه وساد كما حتى اقعى

بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهياء والخطة الشنعاء

والقضاء المبرم من السماء حتى اضطر الى مفارقة الدار والتبا

بذمة الاستتار ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضي عنها

وانصرافه ثانيا اليها بعد وصول بغراخان عنها ودخل بغراخان

بخارا فاستقبله فريق مختصا به ومنخرطا في سلكه وشكت السواده

٦٦

السواده وسلقيا اليه لبن قياده كانهما كانا على سعاده وتلاقيا

على سابق صحبة واتحاد ولما استقرت الداوبه قراوها اسنادته

فايق فى النهوض الى بلخ لاستضافتها الى ولايته وانادتا اموالها

لخزانته فاذن له فيه وسار الى الترمذ وبعث بعثا الى بلخ

فاحتاط عليها ونصب بها من يحبى الاموال ويدبر الاعمال

فاهتبل الامير الرضى فرصة البرود من مستتره فى هذه النكرة

حتى عبر النهر الى آمل وقد كان هاجر اليها امامه عدة من خواصه

وحجابه وغلمان داره عابرين فاعتد وامقدمه عيدا فظنوا

انهم قد استانفوا خلقا جديدا وتلاحق بهم ابناء الهجرة فتموا عدة

وعديدا واعتمد الامير الرضى ابا على البلعمى للوزارة وضبط

اطراف ذلك القدر من الامارة فعجز عن التدبير لضيق الحال

والمجال وانسداد وجوه الاعمال والاموال وتزايد عدد المهاجرين

من الرجال وقد كان بقى عبد الله بن عزير الى خوارزم بعد

صرفه عن الوزارة فامر الرضى بالكتاب اليه فى استحضاره والاستينا

الاعتماد عليه فيما كان يليه واستكفائه المهم منه وفيه فبادر

اليه مغتنما خدمته فى تلك الحال ومتوصلا الى ترضيه بوجوه

الاحتيال وقد كان الرضى من لدن نجوم الشر واستطارة شرره

بما يلى ما وراء النهر من جهة الترك يكاتب ابا على محمد بن سيمجور

وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد لحياطة الحوزة وحراسة

البيضة فى الاستنفاد والاستمداد ويتلطف له فى التجشيم

للجهاد وتطهير تلك البلاد من ذوى البغى والعناد بعد ان

سامحه باموال خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا له واختمالا منه

منه واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا في الانتفاع بشأنه و

الاستظهار بمكانه فيعد للاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز

حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور الى سرخس

ومنها الى مرو في مثلها من المدة يتربص اثناء ذلك دحقة القوم

وتغلبهم فيشاطرهم الملك على حاجر النهر فيكون ما دونه له ولهم

ما وراءه وكان اتصل به وتجدد منه طائفة يزينون له هذا الرأي

ويجلونه في عينيه ويحلونه في معرض الصواب عليه تقربا اليه

ويوحون اليه انها دولة تمت ايامها وحان ان يبوخ عليها اصلاؤها

ودهاتها لاستمرار العثرات على الاطراف بها وانثيال الفتوق من

كل الوجوه عليها وان المعنى بنصرتها مخذول لخذلانها ومحكوم

عليه بالادبار لادبار زمانها ووهي قواعدها واركانها فلما

استقر الرضى السلطان بآمل الشط كتب اليه بان الخفاء قد برح

والبلاء قد برح وانه ان له ان يستانز بعز الاحدونة في نظاهرته

والاقتداء بسلفه الذين هم صنايع دولته ودولة آبائه في طاعته

ونصرة دعوته وكف الاذى عن وجهه وردده الى دار قراره

ومعششن اوليائه وانصاره فقد طمعه الامنه واستشعر

الباس الامن لدنه وقبل هجوم بغراخان على بخارا ما واصله بكتبه

في الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف الى التضرع

في الاستقياد والاستحاثة فمن تلك الكتب فصل حفظته

عن انشاء الوزير ابي علي الدامغاني وهو هي شعر وانما تحتاج

الدولة الى عمادها اذا قصدها من يزعزع راسيات اوتادها

فالله في هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اباك لا بدية بك وكان

٦٨

وكان فيه تأثير الرجاء في الصخرة الصماء لا أخدش ولا أحك
ولا أشق ولا أشك وفرش هلال ذلك بساط الدالة والاقتراح
ليستزيد بزينته في المخاطبة على ما كان يخاطب ابوه وغيره
من أصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح الجمع
له بين التلقيب والتكنية على العنوان منسوباً أولاً إلى أمير المؤمنين
وثانياً إلى آل سامان وقابل الرضى جميع ذلك بالإيجاب
ووفاه ما اشتهاه من تشريف الخطاب وقد كان يقترح عليه
ذات يوم على لسان خادم الرضى ورد عليه رسولاً يعرف ارسطاطاليس
أيام مقامه بآمل الشط زيادة على المبذول له تجري مجرى الشطط
والمحال فقال أيها الأمير ان ذلك السلطان اليوم بحيث لو اقترحت
عليه مخاطبتك بالتأمير لفعل ولكن وراء اليوم غداً فاختر لنفسك

ما هو اجمل بل وازكى فى الاحدوثة عنك فكادت عند ذلك

العيون ان تصوب والقلوب ان تذوب واستمرت الصفوة به

فلم يرده على وعد بطال وتسويف ومطال ان الله كفى الرضى شغل

ما دهاه ونصره وآواه واعاده الى خطته ومثواه وختم بالخير

عقباه واسلم الغادر بما كسبت يداه وما الله بظلام للعبيد

ذكر انصراف الرضى الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها واتفق ان مست

بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج عنها عائدا ادراجه

ومعاودا اهواه وعمد اهل بخارا الى تفاصات عسكره فطحروهم طحرا

ودحروهم دون حواليها دحرا وبادرهم الاتراك الغزية على اثره شذرا

وطردا وعركا وطحنا ولم ينفك بمضى على الاحجام والانهزام على ما به

من الم السقام بعنى ذاق كاس الحمام وحين احس الرضى باحفاله على حاله

حاله بادر بالعبور الى بخارا فيمن يتام اليه من حاشيته ورجاله

فتباشر الناس بما اتاح الله من عوده الى دار ملكه وزيادة غرة تباشر

الصيام بهلال الفطر وذوي المحول والاعدام باستهلال القطر وصفت له

بخارا وسمرقند وما صاقبهما من ولايته وساير مملكته ولما راى

ابو علي ما استقام له من الامر وانضم من النشر وسقط من ناجم الشر

وخمد من نايرة الفتنة التي فدرها صما لا يسمع ودهيا لا ينقطع

واتصاف الى ذلك ان بغراخان لما القى عصا القرار ببخارا كاتبه ابا علي

على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون اصحاب جيوشهم بها

غير واف له بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتواصيا من

النزول على زبينة التماثل واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف

والتعادل سقط في يده وفت في عضده وذهبت عليه امره

واطلع عليه رايه لاستفاد الايام عن خلاف تقديره وانكشاف العواقب

عن ضد ما اجاله من قداح تدبيره فاستشار نصحاه فيما دهاه واستقدح

اراءهم فيما عراه فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستيناف التلطف

واحتيال ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويسد

خلل التقصير الواقع في الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا

ما رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه وسح نفايق بعد احساس

بعود الرضى الى قرارة ملكه ان سينه لى بابه متغلبا عليه ومتحكما

على رسمه فيه وقد كان بها الرضى من جهته مثل ما دهاه من

جانب ابي على بضامها عن نداته وتقاعدا عن فنائه وتقاعسا في فرض

طاعته ووكاله فضرب الرضى وجهه لوجوه صحابه ورجال بابه

ودنا وشهم الحرب بغلمانه وكافة اعوانه حتى استلحمت العده والجم